مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد (06)، العدد (02)، السنة (2021)، ص 09 - 22
ISSN : 2602-5566 EISSN :2716-8999

النشاط السياسي للطلبة الجزائريين في سوريا أثناء ثورة 1954 التحريرية

The political activity of Algerian students during the 1954 liberation revolution

بلعربي عمر*[1]

[1] قسم اللغة والحضارة الإسلامية، جامعة باتنة1 (الجزائر)، belarbi.omar83@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/25 تاريخ القبول:2021/10/25

ملخص:

إذا كانت أنظار الجزائريين وبخاصة منهم المثقفين ورجال العلم والتجار الكبار في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد اتجهت نحو مصر، ففي القرن التاسع عشر كانت لأسباب سياسية ودينية واجتماعية وثقافية غيروا اتجاههم نحو بلاد الشام، وتعد سوريا من بين البلدان العربية الشقيقة التي تربطها بالجزائر علاقات وطيدة تعود إلى الهجرات التي توالت إليها مع استقرار الأمير عبد القادر بالشام، ويعود سبب بعضها إلى الممارسات القمعية المسلطة من طرف الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري، والتي عانى منها الشعب السوري نفسه عندما كان تحت الانتداب الفرنسي، لقد كان للطلبة الجزائريين الذين هاجروا إلى سوريا وغيرها خير مؤازر للثورة وذلك عن طريق عقد مؤتمرات في مختلف الأوساط الثقافية والنقابية والإعلامية الشيء الذي مكن من التعريف بالقضية الجزائرية وإيجاد مؤازرين وداعمين لها، كما جعل هؤلاء الطلبة من العواصم العربية والمدن الجامعية محطات أساسية في عملية الدعاية والنشاط وكسب الود العربي لقضيتهم العادلة.

كلمات مفتاحية: الطلبة ؛ الثورة التحريرية ؛ الهجرة ؛ الاستعمار الفرنسي ؛ سوريا.

Abstract:

If the attention of the Algerians, especially the intellectuals, the men of knowledge and the great merchants in the seventeenth and eighteenth centuries, was directed towards Egypt, then in the nineteenth century it was for political, religious, social and practices imposed by the French colonialism on the Algerian people, which the Syrian people themselves suffered while under the French mandate, the students were Irians who immigrated to Syria and others are the best supporters of the revolution, by holding conferences in various cultural, trade union and media circles, which enabled the identification of the Algerian issue and finding supporters and supporters for it, and also made these students from Arab capitals and university cities essential stations in the process of propaganda and activity and gaining Arab friendliness For their just cause.

Keywords

Students; Editorial; Revolution;Immigration; French colonialism; Syria.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

كان المشرق العربي أهم وجهة قصدها الجزائريون نظرا لاحتضانه لأهم الأماكن المقدسة الإسلامية في مكة والمدينة المنورة والقدس بالإضافة إلى تواجد منارات العلم كالجامع الأزهر بالقاهرة وجوامع أخرى ببلاد الشام والحجاز، كذلك احتفاظه باستقلاله عن الاستعمار الأوربي تحت الخلافة العثمانية وتساهل غالبية المهاجرين الجزائريين مع السلطات العثمانية، ويعد ذلك أحد الطرق التي توجهت لها الهجرة الجزائرية، وكان ذلك قبل سقوط الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي حينها رحلوا إلى المشرق العربي لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم أو للاتجار وبعد الاحتلال اتخذت الهجرة صبغة مغايرة للفترة السابقة.

لقد شملت الهجرة عنصر الطلبة الذين أصبحوا يبحثون عن مناطق آمنة بعد عملية الطرد الداخلية، فظهور تلك الهجرة نتج عنها قلة من الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في الجامعات الفرنسية وقد تأثر هذا النفر من الطلبة بما عايشوه في الخارج، وخاصة في وسط الجامعات بمثابة خلايا الأفكار والسياسة وبالفعل فقد أخذ العديد من الطلبة الجزائريين بأفكار التحرر وحرية التعبير والقول، فحسب رأي شارل أندري جوليان فإن باريس كانت مصدر الهام وتأسيس طلبة المغاربة والمشارفة.

كما أكد الشيخ البشير الإبراهيمي بدوره مساهمة الجالية المهاجرة بما فيها الطلبة في إحياء وبعث حركة النهضة وإرساء ثورة فكرية جديدة عمقت من الحس الوطني وقد عبر بقوله:" رجع أفراد من الأخوان الذين كانوا بالمشرق مهاجرين أو طلاب علم وجماعة من تلامذة الأستاذ ابن باديس الذين أكملوا معلوماتهم بجامع الزيتونة تنطوي نفوسهم من أساتذتهم على فكره وروحه".

ومن هذا المنطلق فإن الإشكالية المطروحة في هذه الورقة البحثية تتمحور حول فيما تمثل النشاط السياسي للطلبة الجزائريين في سوريا أثناء اندلاع الثورة التحريرية ؟ أما التساؤلات فيمكننا طرح ما يلي: ما هي أسباب ودوافع هجرة الجزائريين نحو المشرق وخصوصا إلى سوريا؟ كيف كانت مساهمة الطلبة الجزائريين في سوريا بعد استقرارهم فيها؟ وفيما برز نضال ونشاط الطلبة خصوصا أثناء الثورة التحريرية؟ .

2- دوافع هجرة الجزائريين إلى سوريا:

2- 1دوافع سياسية وعسكرية:

غداة الاحتلال خرجت أعداد كبيرة من الجزائريين متجهة نحو البلدان المجاورة مثل تونس والمغرب وكانت الهجرة في البداية من مدينة الجزائر ثم تلتها المدن الأخرى وصولا إلى القرى الريفية والمناطق النائية، ومن بين المهاجرين أعيان البلاد وأغنيائها وعلمائها، كما شملت غير الأعيان وكل هذه الأنماط من الهجرة كانت اضطرارية، فبعضهم هاجروا هروبا من السياسة الفرنسية

الاستبدادية، وبعضهم فعل ذلك طلبا للعيش في كنف الإسلام والحرية الدينية، كما هاجر آخرون بعد فشل المقاومات والانتفاضات الشعبية وتعرضهم للعقوبات الصارمة ووضعهم تحت قوانين زجرية مثل " قانون الأهالي " وغيرها من القوانين التعسفية الأخرى، وقد كان بعض أعيان الجزائر قد أجبرتهم السلطات الفرنسية نفسها على الهجرة منهم رجال الإفتاء" ابن العنابي" و"ابن الكبابطي" و" قدور بن رويلة " وكان بعضهم قد تعرضوا للنفي فتحولوا إلى المشرق مثل " عبد العزيز الحداد ومحمد وعلي السحنوني (سعد الله، 1998، صفحة 473) .

تذكر المصادر الفرنسية تواريخ مختلفة للهجرة نحو المشرق فهذا أوغسطين بيرك يذكر السنوات التالية كمعالم بارزة في تاريخ الهجرة وهي: 1830، 1832، 1854، 1860، 1870، 1875، 1888، 1898، 1910، 1911، وهناك تواريخ ألح عليها كل من آجرون وباردان، وهي: 1837، 1849،1864، ويذكر باردان أن حركة الهجرة تكاثفت بين 1847- 1854، ثم عام 1896 وقد عرف عام 1911 هجرة غير عادية، وفي 3 فبراير 1912 أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوم الخدمة العسكرية الإجباري على الأهالي من الشباب للالتحاق بالجيش الفرنسي، وقد عارض الشعب الجزائري قرار التجنيد معارضة شديدة، لأنهم كانوا يرون فيه مساسا بشخصياتهم الإسلامية . واكتست هذه المقاومة أشكالا مختلفة كالهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية، كالحجاز، سوريا، تركيا... (سعد الله، 1998، صفحة 474-476).

2-2 دوافع اقتصادية:

في عام 1845 أصدرت الإدارة الاستعمارية أمرا بالاستيلاء على أراضي القبائل، وبموجبه استولت على حوالي نصف مليون هكتار، وفي العام الموالي أصدر قرار بالاستيلاء على أراضي القبائل المشاعة (بوعزيز، د.ت، ص 57)، وهكذا شرد المستعمر الجزائريون من الأرض واستأثروا بها، ووزعوها فيما بينهم توزيعا غير عادل (المدني، 2009، صفحة 96).

وبهذا ركزت فرنسا على انتزاع الأراضي من الفلاحين الجزائريين وإعطائها للجاليات الأوربية و لا سيما في المدن والقرى الساحلية، وتشير الإحصائيات الرسمية الصادرة في سنة 1954 إلى أن فرنسا دعمت 24900 أوربي لكي يحصلوا على 2720000 هكتار من أخصب الأراضي بحيث كانت نسبة ملكية الأوربي 109 هكتار للفرد الواحد، في حين كان 532000 مسلم جزائري يملكون 7612100هكتار بمعدل 14 هكتار للفرد الواحد (بوحوش، 1997، صفحة 198-199).

كما لجأت السلطات الفرنسية إلى طرق أخرى لنهب المزيد من الأراضي كالإيجار أو البيع الصوري الشكلي حيث يقول أحدهم :« عندما كان الأهالي يرفضون بيع أراضيهم كنا نطاردهم فإذا قاومونا بالسلاح، فإن ذخيرة الجنود كانت أقوى من الأوراق القانونية وهذا هو حق الغزو..." (مياسي، 2012، صفحة 124).

فالسهول الخصبة في جهات عنابة، وهران، الجزائر قد غرست كلها كروم لإنتاج الأنواع المتعددة من الخمور فهذه الكروم تحجب اليوم مساحة 400000 هكتار من أجود الأراضي وتنتج سنويا نحو عشرين مليون هكتولتر خمرا، فكان الاقتصاد الجزائري تابعا للاقتصاد الفرنسي وتتحكم فيه الرأسمالية، التي حولت الاقتصاد الجزائري إلى اقتصاد يمد الاقتصاد الفرنسي باليد العاملة والمواد الأولية وبخاصة المحاصيل الزراعية التجارية وعلى رأسها الخمور، أما الثروة الحيوانية فانخفض عدد الأغنام من 8 مليون عام إلى 7,7 مليون عام 1885 إلى 6,3 مليون عام 1900، أما عدد الأبقار فقد انخفض من 1071000 رأس سنة 1887 إلى 792000 في سنة 1937 كما تعمد الاستعمار الفرنسي إلى إعدام كل حركة صناعية في البلاد، فهو يستثمر الأرض وما تحتها لفائدته (الونيسي، 2009، صفحة 15).

ثم إن إحداث صناعة في القطر الجزائري يزاحم معامل فرنسا وهذا ما لا ترضاه دولة الاحتلال كما أن تصنيع القطر الجزائري يغير وضعية سوق اليد العاملة الجزائرية، فيغري العمال الجزائريين بالعمل الصناعي المرتفع الأجر ويزهدهم في العمل الفلاحي عند المستعمرين مقابل الأجور المنخفضة، وهذا ليس في مصلحة المستعمرين لذلك ترك القطر الجزائري دون صناعة تذكر، اللهم إلا بعض معامل الزيت والصابون وصناعة السجائر والتبغ، وما بقي من الصناعات المحلية مثل نسيج الزرابي "السجاد" وحياكة الأصواف للاستهلاك المحلي لكن هذه الصناعات الجزائرية التقليدية عجزت عن التطور أمام الصناعة الأوربية الحديثة نتيجة لفتح الجزائر في وجه الصناعة الأوربية المتطورة بدون قيود و لا حدود، فالاستعمار عمل على تحطيم الأمة الجزائرية من ناحية الصناعة وأغلق في وجهها أبواب الأمل والرجاء، مع أن خيراتها متوفرة . وإمكانياتها عظيمة (بو الصفصاف، 1981، صفحة 33).

2- 3 دوافع اجتماعية:

رفعت اللجنة الإفريقية تقريرا عام 1833 والذي وصفت فيه حالة وأوضاع الشعب الجزائري"...لقد قتلنا أناسا كانوا يحملون رخص التجول، وذبحنا سكان المدن والقرى المشكوك فيهم وتبين فيما بعد أنهم كانوا أبرياء" (بوضرساية، 2009، صفحة 91).

وبهذا تأسست مراكز الاستعمار في الساحل ومتيجة، وهران، عنابة، سكيكدة، وفي إحصائيات عام 1911 كان عدد الفرنسيين يبلغ نسمة 752000 و189000 أجنبي وفي سنة 1936 كان عدد الفرنسيين يبلغ 819000 و127000 أجنبي، حتى وصل العدد إلى واحد مليون مهاجر سنة 1954 (بيضون، 1991، صفحة 109).

كما أسست لفائدتهم أكثر من 400 قرية استعمارية وعبّدت لهم الطرق والسكك الحديدية، فاستولوا على الوظائف العمومية وعلى المهن الحرة فهم يحتكرون التجارة ورؤوس

الأموال ويشـــرفون على الأمن العمومي، فمنهم الموظف الســـامي والمهندس والأســـتاذ وصـــاحب المعامل فكانوا يتمتعون بجميع حقوق الجنسية الفرنسية (عباس، 1994، صفحة 93-95).

تعرض الجزائريون لمعاملة عنصـرية فضـيعة تميزت بالشـدة والغلظة والقسـاوة، فحرموا . من بعض المزايا التي يتمتع بها العامل الفرنســي وفرض عليهم العمل من 12 إلى 14 ســاعة في اليوم بأجر لا يزيد على 14 إلى 20 ألف فرنك في الشـهر، مع عدم ضـمان الاسـتمرار في العمل هذا في حين أن العامل الفرنسي لا يعمل إلا ثماني ساعات في اليوم، ثم إن العامل الجزائري لا يسمح له بأن يعمل في حقل الصـــناعات الفنية والمعامل الهامة، حتى لا يتمكن من تعلم أية حرفة أو مهنة فنية تتيح له العيش والعمل، بل على العكس تجد الجزائريين يعملون في الأعمال الشـــاقة واليدوية مثل الحفر، الشـحن، جر العربات في المناجم والمباني والطرقات وغيرها في سـنة 1892 شاهد جول فيري بعد تحقيق في الجزائر حالة البؤس والشقاء التي يتخبط فيها الشعب الجزائري ووصـــف تلك المناظر قائلا :"رأيناها تلك القبائل البئيســـة التي تســـلط عليها الاســـتعمار فأجلاها والحجز فأرهقها، ونظام الغابات فطاردها وقوانينه فأفقرها، ســمعنا شــكواتهم ورأينا رأي العين بؤسـهم و لامسـناه لمسـا، رأينا وسـط الغابات بقعا محروثة وحقولا مزروعة شـعيرا وقمحا قرب سهول حرثها طيلة قرون المحراث العربي العتيق، سلبت من يد الجزائري سلبا وضمت إلى أملاك . الغابات فأدركنا بأن في الجزائر تجري أمور ليســت أهلا بفرنســا، تتنافى مع العدل ومع ســياســة متبصرة" (بوعزيز، د.ت، صفحة 58).

فهذه الظروف القاسـية هي التي دفعت كثيرا من هؤلاء الكادحين إلى الهجرة، سـواء كانت داخلية شـبه جماعية إلى المدن وهذا للاسـتقرار على أطرافها كما تسـببت الظروف القاسـية إلى الهجرة الجماعية وأهمها هجرة 1888، 1890، 1896، 1889، 1911، وكانت أســبابها دينية، اقتصادية، سياسية باتجاه دول تونس، سوريا، فلسطين، لبنان، وكذلك من بين العوامل أيضا هو إصـدار السـلطات الاسـتعمارية سـنة 1904 قانونا يفصـل بين الدين والدولة، وأدى ذلك إلى تخوف السكان من النتائج التي ستترتب عن هذا القانون في حالة تطبيقه في وطنهم، وهو ما أدى بالكثير إلى أن يقدموا طلبات جماعية لمغادرة البلاد والأخص من مدينة تلمســـان ســـنة 1911 (هلال، 2012، صفحة 14-15).

وقـد دفع البؤس والفقر الكثير من الجزائريين إلى الهجرة نحو فرنســـا بحثا عن العمل والقوت منذ بدايات القرن العشـــرين، وكانت أعدادهم تتزايد من ســـنة إلى أخرى رغم ضـــغوط المعمرين، من أجل عرقلة هذه الهجرة بهدف إبقاء الجزائريين في البلاد ولاســـتغلالهم في خدمة الأرض على العموم (الونيسي، 2009، صفحة 15-16).

لقد بلغ عدد المهاجرين إلى فرنســـا وحدها ســـنة 1923 أكثر من 92000 عامل، وفي هذا الصـدد يقول فرحات عباس : "سـتة ملايين من السـكان لم يبق في أراضـيهم إلا الأراضـي الجدباء،

وبلغ الثلثان من هؤلاء السكان من الجوع والبؤس والفاقة مبلغها لا يجدون عملا يقتاتون به، ولا مما يسدون به رمقهم، جردت القبائل الغنية والقوية من خيراتها لأن أراضيهم وممتلكاتهم أصبحت نهبة الناهب بتداولها الغزاة ويخوض عمرانها المستعمرون المكتسحون، ولم يبق في وسع العربي الذي أصبح غريبا في أرض الآباء والأجداد إلا أن يكون خادم المعمر أو جندي الإمبراطورية"(عباس، 1994،صفحة 16).

2- 4 دوافع دينية:

لم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي على الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب، بل عمد إلى تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وقد ظهر حقده الصليبي في إصراره على تجهيل الشعب وتحطيم مقومات الأمة، وفي مقدمتها الدين الإسلامي واللغة العربية باعتبارهما يناقضان حضارتهم، ويعرقلان أهدافهم ومشاريعهم الاستعمارية، لهذا الغرض أصدرت الحكومة الفرنسية عدة قرارات ومراسيم تهدف تدريجيا إلى تصفية أملاك الأحباس من مساجد، مدارس، زوايا، وهذا ما أكده تقرير اللجنة الإفريقية التي بعث بها ملك فرنسا إلى الجزائر سنة 1833 حيث جاء نصه كما يلي : "... ضممنا إلى أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا على أملاك طبقة من السكان كنا تعهدنا برعايتها وحمايتها.." (عمورة، د.ت، صفحة 252).

لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين... ثم عمدت إلى تحويل المساجد إلى كنائس وكاتدرائيات وثكنات، فتحول مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة إلى كاتدرائية، ولم يبق سوى أربعة مساجد من بين 160 مسجدا وزاوية حولتها إلى كنائس ومراكز الشرطة، واصطبلات لخيول الحرس المتجول، أما بالنسبة للأمية لم تكن سائدة في الأوساط الجزائرية، فكانت الكتاتيب حوالي 3000 وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها تنشئة عربية ودينية صالحة (بوعزيز، د.ت، صفحة 73).

فالاستعمار الفرنسي قد حطم الكتاتيب القرآنية وحجرة التعليم في المساجد والتي دمر وحطم أكثرها، فسياسة التجهيل كانت شعار الاحتلال الفرنسي في قطر الجزائر (المدني، 2009، صفحة 116-117).

وبقدر ما عملت السلطات الاستعمارية على إذلال الدين الإسلامي وتحطيم كيانه، وجدت في تشجيع ونشر الديانة المسيحية والحركات التبشيرية واستغلت صدور قانون 27 ديسمبر 1907 الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة بالجزائر (بوعزيز، د.ت، صفحة 73).

2- 5 دوافع ثقافية:

لقد تجاهلت الحكومة الفرنسية في أول أمرها قضية التعليم، ولم تكن مشتغلة القضاء على الكيان الجزائري، وتحطيم قواه وإخماد حركاته ثم أخذت في فتح أبواب المدارس شيئا فشيئا

أمام أبناء الجزائريين منذ سنة 1883، لكن التعليم كان ولا يزال فرنسيا بحثا، لا عربيا ولا جزائريا فاللغة الفرنسية فيه هي لغة الوطن وبلاد فرنسا فيه هي الوطن، وتاريخ فرنسا فيه هو تاريخ الوطن وهكذا (المدني، 2009، صفحة 117).

وهذا ما فعلته المدارس الفرنسية والتي كانت تحاول هدم مقومات الشخصية الجزائرية . بتعليم الجزائريين آداب الغربيين وتاريخ الغاليين، ولغة الفرنسيين وذلك تطبيقا لتوصيات قادة الاحتلال الذين حثوا جيشهم سنة 1830 بقولهم :« علموا لغتا وانشروها حتى نحكم الجزائر، . فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة »وهذا مثال آخر لأحد القواد الفرنسيين الذين كانوا يعبرون عن أهداف فرنسا الحقيقية في الجزائر :« إننا جئنا إلى الجزائر يقصد الفرنسيين إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا » هذا هو هدف الاستعمار الحقيقي من تعليم الجزائريين لغته وثقافته (بوالصفصاف، 1981، 152).

كذلك نجد أن بعض غلاة الاستعمار يتحمسون لفكرة نشر المدارس الابتدائية الفرنسية في كل مكان من الجزائر، بل إنهم نادوا بتعليم الأهالي اللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية باعتبار اللغة الفرنسية، أداة لغزو النفوس والقلوب ولذلك طالب هؤلاء الغلاة باجتذاب الجزائريين إلى المدارس الفرنسية، عن طريق منحهم بعض المزايا حتى يمكن تكوين طبقة معتدلة من الزعماء الوطنيين الذين يعملون على تدعيم النفوذ الفرنسي في الجزائر (مياسي، 2012، صفحة 157-158).

أصدرت الإدارة الاستعمارية قوانين جائرة ضد تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، مثل قانون 18 نوفمبر 1892 الذي يقضي بعدم فتح أية مدرسة إلا برخصة من السلطات الفرنسية و تحت إجراءات جد صعبة منها، قبول عدد محدود جدا من التلاميذ في هذه المدارس (عمورة، د.ت، صفحة 253).

ومنذ بداية القرن 20 أخذت السلطات الاستعمارية تهتم أكثر بمقاومة اللغة العربية والتضييق على أصحابها والراغبين في تعلمها، فقد أصدرت في 24 ديسمبر 1904 قرارا يقضي بعدم السماح لأي معلم جزائري أن يفتح مدرسة لتعليم العربية، دون الحصول على رخصة من عامل العمالة أو الضباط العسكريين في المناطق الخاضعة للحكم العسكري (بوعزيز، د.ت، صفحة 66).

لقد انطلقت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سياستها التعليمية، من واقع المجتمع . الجزائري الذي فقد كل مصادر المعرفة نتيجة، لسياسة التجهيل التي اتبعتها السلطات الاستعمارية في الجزائر، لذلك اتخذوا من المدرسة أداة رئيسية لمحاربة الاستعمار، فالعلماء اعتبروا التعليم اللبنة الأولى في يقظة الشعب كانوا ينظرون إلى المجتمع نظرة واقعية، بحيث أن الثقافة العربية في الجزائر و التي تربط الفرد بماضيه و حاضره قد أوشكت على الاندثار، و كاد

المسلم الجزائري يفقد شخصيته العربية التي تميزه على شخصية الأوربيين، الذين يستهدفون إدماجه في كيان المجتمع الفرنسي، لذلك كانت حملتهم على الجهل عنيفة فاستحقت بذلك الأولوية في برنامج العلماء (بو الصفصاف، 1981، صفحة 149-150).

إن الإدارة الفرنسية بعد أن تفطنت لخطورة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و ما أحدثته من تغيير في الأوساط الاجتماعية سارعت لغلق المدارس، و المساجد والكتاتيب القرآنية في شتى أنحاء القطر، كما أخذت تلاحق المعلمين و المدرسين في مؤسسات الجمعية، كما عمدت إلى إنشاء جمعيات تحت أسماء دينية مختلفة كالتي أنشأتها في تبسة باسم " الجمعية الدينية الإسلامية " و وضعت على رأسها فرنسي يدير شؤونها و يوجه أهدافها. كما بلغت محاربة اللغة العربية و التعليم العربي الحر ذروتها كالقرار الذي أصدره السيد شوطان وزير داخلية فرنسا في 8 مارس 1938 الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر (مراد، د.ت، صفحة 340).

وفق ما ورد في جريدة البصائر التي كتبت عن هذه الحادثة والظلم المسلط على اللغة العربية ورجالها في الجزائر، حيث كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في عددها الصادر بتاريخ 8 أفريل 1938 :" وقد فهمنا والله ما يراد بنا وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصيبنا على ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا" (البصائر، 1938، صفحة 143).

كما وصف الشيخ ابن باديس هذا القانون بالسم الذي أصاب الجزائر في روحها وصميم فؤادها وفي مهد حياتها، كما كتب في جريدة الصراط السوي مقالا تحت عنوان:" بعد عشرين سنة في التعليم تسأل هل عندك رخصة" (بلاح، د.ت، صفحة 225).

وفي إطار المواجهة مع الإدارة الاستعمارية طالبت الجمعية كل معلم قرآن أو مدرسة طلب الرخصة من الإدارة، كما قامت بحملة مناهضة ضد قرار 08 مارس 1938 المشئوم وذلك بالاتصال بمختلف الجمعيات لإسماع الرأي العام الجزائري بكل فئاته، والقيام بالاحتجاج على هذا القرار (مطبقاني، 1992، صفحة 101).

لقد كان لعامل الهجرة نحو بلدان المشرق العربي ومنها سوريا دوافع كثيرة مختلفة ومتنوعة بسبب السياسة الاستعمارية الجهنمية " مصادرة، تفقير، تنصير، تقتيل..." التي طبقتها الإدارة الفرنسية في حق الجزائريين الذين حرموا من أبسط الأشياء، وبالتالي أصبح التفكير في إيجاد وطن آمن يحميهم من الممارسات القمعية التي لاقوها في بلدهم الجزائر.

3- النشاط السياسي للطلبة الجزائريين في سوريا:

3-1 النشاط السياسي قبل فتح مكتب جبهة التحرير:

لقد تجلى بوضوح الشعور الوطني العميق لدى الطلبة الجزائريين في المشرق العربي وهذا مع اندلاع الثورة التحريرية، وقد عبر عن ذلك أحد الطلبة بقوله: " كان الطالب في المشرق العربي

منسجما مع شعبه متلائما مع ثورته متضامنا معها، إذ أعلن انضمامه منذ اللحظة الأولى قام بتنظيم حملات ومظاهرات ووزع نشرات وعرائض في جميع الوطن العربي: في القاهرة، دمشق، الكويت، السعودية" (هلال، 2012، صفحة 85).

وكذلك امتاز نشاط الطلبة بالنضج العسكري والسياسي كما تمتعوا بالشعور الوطني الفياض الذي أهلهم إلى خدمة القضية الوطنية وبدئوا يساهمون في الحياة الفكرية، فقد تتبع الطلاب الجزائريون بكل اهتمام أحداث الثورة وتطورها في الداخل والخارج (مهري، د.ت، صفحة 87).

وكان هناك نشاط فعال لا حدود له في ثانوية البنين باللاذقية، وتأججت الساحة الطلابية في الثانوية بالأفكار والنزاعات الفكرية السياسية، كما كان الحوار بين مختلف التيارات حوار هادئ ونقاش حماسي بمنهجية حزبية وبروح عالية (هلال، 2012، صفحة 85).

استطاع الطلبة الجزائريين المتواجدين بسوريا من تأسيس " لجنة الطلبة الجزائريين" وذلك في شهر مارس 1955 ومن الطلاب الجزائريين الذين ترأسوا المكتب الإداري لهذه اللجنة أو كانوا أعضاء نشيطين فيه تذكر تقارير هذه اللجنة الطلاب الآتية أسماؤهم: الشريف سيسبان، عبد العزيز سعد العربي طرقان، علي رياحي، بلقاسم نعيمي، عبد الرحمن شطيطح، وعبد القادر بن صلاح، أو القاسم خمار، ومحمد مهري، وقد كان تأسيس هذه اللجنة تقريبا موازيا مع التأسيس الرسمي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (هلال، 2012، صفحة 86).

2-3 النشاط السياسي بعد فتح مكتب جبهة التحرير:

عندما عينت جبهة التحرير الوطني ممثلا لها في سوريا وهو السيد عبد الحميد مهري في حدود عام 1956 وجد هذا الأخير تنظيما طلابيا تمثل في " لجنة الطلبة الجزائريين " ووقع الاتصال بين الطرفين في ظروف عادية، واتفق الطرفان على مساندة الثورة الجزائرية والتعريف بتطوراتها وأهدافها النضالية على جميع المستويات، وذلك عن طريق وسائل الإعلام المختلفة المحلية وغير المحلية، ومن العوامل التي ساعدت على تكاثف النشاط السياسي للطلاب الجزائريين أن أعدادهم قد تضاعفت بين عامي 1957- 1958 وذلك بقدوم عدة بعثات طلابية من الجزائر وتونس، ومن اللاذقية إلى دمشق (هلال، 2012، صفحة 87).

كما قامت جبهة التحرير الوطني بفتح مكتب " جبهة التحرير الوطني "في شهر جويلية 1956 وهذا لتمثيل الجزائر بالعاصمة السورية دمشق كلف بتسييره المناضل عبد الحميد مهري وهذا لكسب الدعم المعنوي والسياسي للقضية الجزائرية، ومنذ ذلك التاريخ تضاعف الاتهام السوري بالقضية الجزائرية فعلى المستوى التعليمي والثقافي فتحت المجال للطلبة الجزائريين لطلب العلم والمعرفة وقد بلغ عدد الطلبة المقيمين في دمشق 107 طالب، كلهم معفون من دفع رسوم .

الدراســة، وذلك بعد الاتفاق الذي عقد بين عبد الحميد مهري ووزير التربية والتعليم الســوري (بلقاسم، 2005، صفحة 186).

وكان لمكتب المغرب العربي في دمشق الذي كان يرأسه آنذاك " يوسف الرويسي " دور في النشــاط الســياســي الذي أداه الطلبة الجزائريون في ســوريا، ومما يلفت الانتباه أن الطلبة الجزائريين في ســوريا كانوا مهيكلين بطريقة أو بأخرى في أربع منظمات محلية هامة هي: لجنة الطلبة الجزائريين " 1955- 1958" التي تحولت فيما بين 1 – 6 ســبتمبر 1958 إلى "رابطة الطلبة الجزائريين في الشرق العربي" و "رابطة طلاب المغرب العربي" التي تأسست في سوريا عام 1956، " الاتحاد العام للطلبة الجزائريين " وأخيرا منظمة الجبهة في دمشق التي التف حولها منذ تأسيس مكتبها في هذا البلد عام 1956 (سعد الله، 1998، صفحة 290).

أما صيف 1959 كان خطوة حاسمة حيث بلغ فيها الطلبة الجزائريين غايتهم في التنظيم والتلاؤم وهذا بانضــمامهم تحت لواء الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، وبالتالي فهموا قضــيتهم القومية عن حقيقة ورموا بكل قواهم المادية والمعنوية في النضــال الثوري العربي منه الفكري والاجتماعي والسياسي (مهري، د.ت، 75).

وعلى غرار إخوانهم الطلاب في العالم بأســره تتبع طلابنا في الشــرق العربي أحداث الثورة وتطوراتها، وساهموا في التظاهرات الثقافية وغيرها ليعرّفوا بها الجماهير العربية، وتضامنوا معها في كل محنها فكانت مناســبة اعتقال القادة الخمســة من قبل فرنســا مثلا حدثا مؤلما بالنســبة إليهم، فنظموا مظاهرة عارمة اشترك فيها الطلاب التقدميين العرب في سوريا، وكذلك كان الشأن لقضــية جميلة بوحيرد وغيرها من القضــايا الهامة، والمراحل الحســاســة التي مرت بها الثورة الجزائرية (هلال، 2012، صفحة 89).

وقد اســتمر النشــاط الســياســي للطلبة الجزائريين في ســوريا وذلك عن طريق بث إذاعة دمشق حصة خاصة وهذا لتتبع أهم التطورات التي تعرفها الثورة الجزائرية، وقد أطلق الطلبة الجزائريين " كلمة الجزائر " وهذا للفت الانتباه والتعريف أكثر بالقضــية الوطنية، ومن الطلبة الذين كانوا بشــرفون على كتابة " كلمة الجزائر" وإلقائها نذكر أبو القاســم خمار، محمد مهري، محمد بوعروج، الهاشــمي الدوري، منور الصــم، حنفي بن عيســى، بو عبد الله غلام الله، وفعلا نجحت حصة كلمة الجزائر في إذاعة دمشق والتي تجاوب معها الشعب السوري الشقيق تجاوبا مقنع النظير، ويعود سبب هذا النجاح بالأساس إلى المعلومات التي كانت تصل إليهم من المخابرات الجزائرية بالتلكس الخاص بمكتب الجبهة، وكذلك نشــرات ومنشــورات وجرائد جبهة التحرير الوطني (هلال، 2012، صفحة 89- 90).

كان للرابطة مقر في منطقة المزرعة بدمشــق، وكانت تمارس نشــاطات ثقافية واجتماعية وتشارك الهيئات الطلابية المماثلة، حيث جعلت مقرها منبرا للمحاضرات والنقاش يقومون بعدة

نشاطات ترفيهية ومسائل للنقاش، مع إقامة الأسابيع " أسبوع الجزائر بسوريا " كتخليد للاحتفال باندلاع للثورة التحريرية (مهري، د.ت، صفحة 87).

لقد رحب الطلاب الجزائريون المتواجدون في سوريا باندلاع الثورة التحريرية وفرحوا بتجسيد الأماني وتكسير أغلال الاستعمار الفرنسي، وقد تنوع نشاطهم وقد شمل مجالات واسعة وارتبط ارتباطا وثيقا بالقضية الوطنية والتعريف بآفاقها وتطور إحداثها داخليا وخارجيا (عقيب، 2008، صفحة 160).

وهناك من أيّد تلك الأفكار وهذا بالدعوة إلى مؤازرتها والانخراط في صفوفها ومنهم الكاتب والأديب حنفي بن عيسى، والشعراء صالح خرفي ومحمد أبو القاسم خمار ومحمد الصالح باوية، هذا الأخير كانت له قصيدة كان يرددها كثيرا الطلاب السوريون بجامعة دمشق مطلعا: ساعة الصفر انطلاقات مشاعر- يقظة الإنسان ميلاد الجزائر، فالشاعر باوية ربط يقظة الإنسان ونهضة العرب بميلاد الجزائر الجديدة وثورتها الشعبية التحريرية، بالإضافة إلى كتابتهم للمقالات المؤيدة للثورة الجزائرية وعملوا على نشرها في الصحف (بلقيرس، 2013، صفحة 25).

بالنسبة إلى طلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في اللاذقية سرعان ما اندمجوا في محيطهم وكونوا صداقات حميمة مع زملائهم في الثانوية، فبدأت إسهاماتهم وذلك بالكتابة في الصحافة فقد كان محمد مهري يكتب في جريدة الساحل السوري تحت عنوان " رسائل من الجزائر " وقد ساهم مع بعض زملائه في تقديم المسرحيات في قاعة دار الكتب الوطنية، كما كانوا على صلة دائمة بالأحزاب التي تهتم بالقضية الجزائرية وكانوا يشاركونهم في المظاهرات التي تنظم لنصرة الثورة الجزائرية، ومن أضخم المظاهرات التي شارك فيها معظم سكان مدينة اللاذقية، وكانت احتجاجا على اختطاف الطائرة التي كانت تقل قادة الثورة الخمسة، وبهذه المناسبة ألقى محمد مهري كلمة حي فيها الشعب السوري على نخوته وتأييده للشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار وطلب من الحكومة السورية أن تفتح مخازن السلاح للثورة الجزائرية وان تستمر في الوقوف إلى جانب القضية الوطنية إلى غاية تحقيق الاستقلال (مهري، د.ت، صفحة 110).

لقد التف المثقفون الجزائريون حول الثورة وغطوا ميادينها العسكرية والسياسية والإدارية والإعلامية والصحية، مما جعل الإدارة الاستعمارية تحاول عزل الشعب عن ثورته، وقد كان الطلبة الجزائريين مساندين لها وشعروا بالمسؤولية الوطنية التي تتطلب منهم التضحية والنضال من أجل خدمة وطنهم، وبالتالي لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل اقتحموا الميدان، وبسبب استخدام أساليب القمع اضطر الطلبة ما بين " 1959 – 1962 "إلى النضال في دائرة مغلقة وهذا للدفاع عن القضية الوطنية والذي برز في العمل الدعائي وتقديم المعلومات وتجنيد المتطوعين، وسعوا لإيجاد مساندين ومؤازرين وداعمين للثورة الجزائرية.

4-خاتمة:

من خلال بحثي أستنتج ما يلي:

-فضّل الشعب الجزائري الهجرة إلى بلاد الشام وهذا كتعبير منهم عن رفضهم للاستعباد والبحث عن الحرية والحفاظ على الشخصية الوطنية.

- لقد كان أغلب المهاجرين إلى سوريا أصحاب الكفاءات العلمية من علماء وسياسيين وبالتالي طغى على الهجرة الطابع العلمي والمعرفي، وقد أدوا دورا بارزا في مختلف جوانب الحياة.

- إن سوريا كانت موطن هجرة وقاعدة خلفية للجزائريين من الاستعمار الفرنسي فلجأ إليها كل ثائر وهذا نظرا للروابط الدينية والثقافية ثم تحولت بعد ذلك إلى مستقر لهم أو وطن ثان.

- تفاعل الطلبة الجزائريون المتواجدين في سوريا مع الثورة التحريرية فكانوا خير مؤازر لها وذلك من خلال عقد المؤتمرات والتي بواسطتها قاموا بتعريف قضيتهم في مختلف الأوساط الثقافية والعالمية حتى أصبحت هذه القضية من الاهتمامات الأولى لبعض الدول.

- ساهم الطلبة الجزائريون في الثورة من خلال إرشاد وتوجيه المهاجرين الجزائريين في الوطن العربي بالإضافة إلى نقل وتفسير أخبار الثورة مما مكن من التعريف بالقضية الجزائرية.

- واكب الطلبة الجزائريون في سوريا الثورة المسلحة وتلاحموا معها من أولها إلى آخرها وأدوا دورا بارزا كل ذلك من أجل إنجاحها وانتصارها حتى تحررت الجزائر من الاستعمار الفرنسي.

- لقد جعل الطلبة الجزائريين من العواصم العربية والمدن الجامعية محطات أساسية في عملية الدعاية والنشاط وكسب الود العربي لقضيتهم العادلة بإقامة أسابيع وأيام " أسبوع الجزائر" .

قائمة المصادر والمراجع:

1. البصائر ، (1938)، العدد8.
2. بو الصفصاف عبد الكريم، (1981)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر.
3. بيضون جميل، (1991)، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع.
4. مطبقاني مازن، (1992)، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، ط1، دار القلم، دمشق.

5. عباس فرحات، (1994)، الاستعمار، الشاب الجزائري،ترجمة أبو بكر رحال،الجزائر .
6. بوحوش عمار، (1997)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
7. سعد الله أبو القاسم، (1998)، (تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
8. بلقاسم محمد، (2005)، وحدة المغرب العربي من خلال قرارات المؤتمر الحادي عشر لجمعية العلماء المسلمين لشمال أفارقة بتونس 1950، مجلة المصادر ، العدد 12.
9. عقيب السعيد، (2008)، دور الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة نوفمبر (1955-1962)، مؤسسة كوشتار، الجزائر.
10. المدني أحمد توفيق، (2009)، حياة كفاح (مذكرات)، ج1، دار البصائر، الجزائر.
11. الونيسي رابح، (2009)، التيارات الفكرية المعاصرة في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والإخفاق (1920-1954)، كوكب العلوم، الجزائر.
12. بوضرساية بوعزة، (2009)، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، (1870-1930) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر.
13. مياسي إبراهيم، (2012)، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
14. هلال عمار،(2012)، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، ط5، دار هومة، الجزائر.
15. بلقيرس عبد الغاني، (2013) لكن عبد الرحمن زناقي لا بواكي له، مجلة الثقافة الجزائرية الأسبوعية متاح على http// journal Culturellement Algérien Semestreil, ph, net, 15 : 05
16. بوعزيز يحيى، (د.ت)، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830-1954)،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
17. مهري محمد،(د.ت) مذكرات محامي النقيب محمد مهري (ومضات مندروب الحياة) ، مؤسسة الشروق، الجزائر.
18. مراد علي ،(د.ت)، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والإجتماعي، من 1925 إلى 1940 ، ترجمة يحياتن محمد.
19. عمورة عمار، (د.ت)، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة من ما قبل التاريخ إلى 1962، ج2،دار المعرفة.

20. بلاح بشير، (د.ت)، مواقف الحركة الوطنية الاصلاحية الجزائرية من الثقافة " 1925-1940"، هدية من وزارة الثقافة عالم الثقافة، الجزائر.